القاضي إلى قانونه ؛ وهذا يسلمنا إلى القول بأن الناقد الحق يجب أن يكون مثقفاً ثقافة واسعة عميقة ، وأن يبنى حكمه على علل معقولة كما يبنى القاضي حكمه على « حيثيات » واضحة ، ولسنا ننكر أن الأديب يعتمد في حكمه على ذوقه وشعوره بالجمال والقبح ، ولكن لا يعد هذا الذوق راقياً إلا إذا أسس على علم واسع ومعرفة بقوانين الأدب

وهذا ضرب لا يزال ينقصنا منه الشيء الكثير ؛ فأكثر أحكامنا على النتاج الأدبي أحكام مجردة لا تعالل بعلل مقنعة ، ولا يرجع فيها إلى قوانين ثابتة ، وبذلك تفقد قيمتها ويقل احترامها

* * *

لقد قال قائلون إنك تعيب النقد العربي ولا تنقد ، وتعيب قلة الجرأة ولا تجرؤ ، وتدعى قلة النقد ولا تبني في بنائه الذي تنشده حجراً

قد يكون هذا صحيحاً ؛ ولكن هل من العيب أن يشرح المريض مرضاً عاماً أصيب به هو وغيره ؟ وهل من الشر أن يرفع صوته بالشكوى من كان هو وغيره سبب الشكوى ؟ وهل يحجر على الانسان أن يقول إن هذا ليس بجميل إلا إذا كان جميلاً ، وليس بعادل إلا إذا كان عدلاً ، وليس أبيض ولا أسود إلا إذا كان هو أبيض أو أسود ؟ إن مطالبة الانسان ألا ينقد إلا إذا كمل ، وألا يعيب إلا إذا خلا من العيب يحقن في نفوس الناس آراءهم وقد تكون صالحة ، ويسلبهم الحرية وقد يكون في حريتهم العلاج . على أن المريض قد يكون أصدق في وصف المرض من الصحيح ، والجاني قد يصور الجناية بأحسن مما يصورها البريء

أما بعد ، فقد شرحت وجهة نظري في بعض وجوه العيب في النقد العربي من ناحيتها العامة . فان أراد أخي طه أن يحورها من عمومها إلى شخصياتها ، وينقل المسألة من النقد الأدبي إلى النقد السياسي ، ويجعل الأمر يدور حول أنا وأنت وتقدتُ ولم تنقد ، وكتبتُ ولم تكتب ، وبئستُ ونعمتَ ، وشقيتُ وسعدتَ ، لم أجاره في ذلك ، ووقفت حيث أنا إلا أن يعود إلى أساس النظرية ، ويقرع حجة بحجة ، وبرهاناً ببرهان ؛ فأني إذن أساجله القول في ذلك حتى ينجلي الحق ويظهر الصواب . والسلام عليك من أخ يضمر لك من الحب والوفاء ما تضمر له .

أحمد أمين

شخصية غامضة
في التاريخ الأندلسي
للأستاذ محمد عبد الله عنان

شخصية غامضة وحادث غامض في التاريخ الأندلسي ، في عصر الفتح ، تقدم عنهما الرواية النصرانية كثيراً من التفاصيل الغامضة المتناقضة ، وتمر عليهما الرواية الاسلامية بالصمت ، وما زال البحث الحديث مترددا في شأنهما

أما هذه الشخصية الغامضة فهي شخصية ذلك الزعيم المسلم أو النصراني طبقاً لبعض الروايات ، الذي تسميه الرواية الفرنجية « منوزا » أو « موز » ، والذي كان يتولى حكم بعض الأقاليم الشمالية في عهد عبد الرحمن الغافق أمير الأندلس ؛ وأما الحادث أو الحوادث الغامضة التي ترتبط باسم هذا الزعيم ، فهي مخالفته للدوق أودو أمير اكوتين الفرنجي ، وزواجه من ابنته الأميرة لامبجيا التي اشتهرت برائع حسنها ، ومشاريعه الغامضة التي نظمها مع الدوق ، والتي انتهت بخروجه على حكومة الأندلس ، ثم هزيمته ومقتله ، وأسر زوجه الحسناء لامبجيا

وسنحاول في هذا البحث أن نعرف من هو « منوزا » صاحب هذه الشخصية الغامضة . ولقد كنت أعتقد ، كما يعتقد كثير من الباحثين في التاريخ الأندلسي أن « منوزا » أو موز انما هو تحريف لاسم « ابن أبي نسعة » العربي ، وهو عثمان ابن أبي نسعة الخثعمي الذي تولى إمارة الأندلس في سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) ؛ وقد سرت على هذا الرأي فعلاً فيما كتبته عن تاريخ هذه الفترة في الفصل الذي خصصته لموقعة بلاط الشهداء في كتابي « مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام [1] » ؛ ولكني اليوم أصبحت أشك في صحة هذا الرأي ، وفي أن منوزا وابن أبي نسعة هما مسميان لشخص واحد

وتتفق الروايات النصرانية — ومنها الروايات المعاصرة — على هيكل الحوادث التي ترتبط باسم منوزا من تاريخ أسبانيا

(١) مواقف حاسمة ص ٧ ؛

المسلمة ؛ ومعظمها على أن منوزا كان زعيما مسلماً ، يحكم بعض ولايات البرنيه الغربية وسبتمانيا فيما وراء البرنيه باسم حكومة الأندلس ؛ وكان ذلك حوالى سنة ٧٢٥ — ٧٣٠ م ؛ وكان الدوق أودو أمير اكوتين الفرنجى فى ذلك الوقت يتلمس كل وسيلة لحماية مملكته من غزوات العرب ؛ وكان العرب قد غزوا أراضيه مراراً قبل ذلك واتخنوا فيها ؛ وكان جل همه أن يتقرب من حكومة الأندلس أو يجمع الحلفاء من حوله لمقاومتها ، فلما تولى « منوزا » حكم الولايات الشمالية ، وهى التى تجاور إمارة اكوتين من الشرق والجنوب ، سعى الدوق إلى التفاهم معه ؛ وكان منوزا ، كما تصفه الرواية زعيما قوى المراس ، كثير الأطماع نافذ الهيبة فى هاتيك الوهاد ؛ ولم يكن على اتفاق مع حكومة الأندلس ؛ ذلك لأنه كان من أقطاب البربر الذين عبروا الى الأندلس مع طارق بن زياد[1] ؛ ونحن نعرف أن البربر كانوا على خلاف دائم مع العرب ، يحقدون عليهم لأنهم استأثروا دونهم بمغانم الفتح والرياسة . فاذا صح أن « منوزا » كان زعيما بربرياً كما تصفه الروايات الفرنجية المعاصرة ، فيكون من المشكوك فيه إذاً أن يكون « منوزا » هو عثمان بن أبى نسعة الخثعمى ، الذى تولى إمارة الأندلس كما قدمنا . ذلك أن عثمان كان زعيما عربياً ، ينتسب إلى خثعم إحدى البطون العربية العريقة[2] هذا إلى أن الرواية العربية تقدم الينا عن مصيره رواية أخرى غير تلك التى تقدمها الينا الرواية النصرانية عن مصير منوزا ، فهى تقول لنا إن أبى نسعة ولى الأندلس فى شعبان سنة ١١٠ (سنة ٧٢٨ م) واستمرت ولايته خمسة أشهر أو ستة ، ثم عزل وانصرف إلى القيروان فمات بها[3] . أما منوز فقد مات محارباً ومات قتيلاً كما سنرى

وعلى أى حال فقد تفاهم أميرا كوتين ومنوزا ؛ وقويت المصاهرة بينهما أواصر الصداقة والتحالف ؛ ذلك أنه كانت للدوق ابنة رائعة الحسن تدعى لامبجيا (أو منينا أو نوميرانا على قول بعض الروايات) فرآها منوزا أثناء رحلاته (أو غاراته) فى اكوتين وهام بها حباً . تقول الرواية : « وكانت لامبجيا أجمل امرأة فى عصرها ، كما كان منوزا أقبح رجل فى عصره ، وكانت نصرانية متعصبة ، ولكن أطماع الوالد غلبت على كل شىء فارتضى مصاهرة الزعيم المسلم » . ويصف جيبون مؤرخ الدولة الرومانية هذا التحالف ، وتلك المصاهرة فى قوله : « ارتضى منوزا الزعيم البربرى محالفة دوق اكوتين ، وأسلم أودو لباعث المصلحة الخاصة أو العامة ، ابنته الحسناء ، لقبلات الملحد الأفريقى وعناقه »

وتحيط الرواية النصرانية شخصية لامبجيا بكثير من الغموض أيضاً ، وتختلف فى ظروف زواجها من الزعيم المسلم ، فتقول مثلا : إن منوزا أسر لامبجيا فى إحدى غاراته على أراضى أكوتين ، ثم هام بها حباً وتزوجها ، وحمل بنفوذها وتأثيرها على محالفة أبيها الدوق ، ومناوأة حكومة الأندلس ؛ وأنه تزوجها طوعا كما تقدم ، وتقول أيضا إن ابنة دوق أكوتين التى تزوجها « منوزا » لم تكن لامبجيا ، وإنما كانت أختها « منينا » التى كانت من قبل زوجة لفرويلا القوطى أمير أوستريا ، وتقول غير ذلك من الأنباء والتفاصيل التى يقع معظمها فى حيز الأساطير[1]

ونمى أمر هذا التحالف الى حكومة الأندلس ، فلم تقره ، وارتابت فى أمره ؛ وأبدى منوزا من ضروب التمرد والاستئثار ما حملها على اعتزام تأديبه وتحطيمه ؛ وكان أمير الأندلس يومئذ عبد الرحمن الغافقى أعظم ولاة الأندلس ، فبعث لتأديب الخارج حملة قوية بقيادة ابن زيان ، فامتنع منوزا بمواقعه الجبلية ، وتحصن فى عاصمة اقليمه « مدينة الباب » الواقعة على منحدر البرنيه ، وكان يظن أنه يستطيع أن يتحدى الجيش الاسلامى ، وأن يعتصم بالصخر كما اعتصم به الزعيم القوطى بلاجيوس ؛ ولكنه كان مخطئاً فى تقديره ؛ فقد نفذ ابن زيان بجيشه الى مدينة الباب ، وحصر الثائر فى عاصمته ، ففر منها الى شعب الجبال الداخلية ؛ فطارده ابن زيان من صخرة الى صخرة ، حتى أخذ وقتل مدافعاً عن نفسه ؛ وتحطمت أطماعه ومشروعاته (١١٣ هـ — ٧٣١ م) وأسرت زوجه الحسناء لامبجيا ، وأرسل بها أمير الأندلس إلى بلاط دمشق ، فاستقبلها الخليفة (هشام) بحفاوة وإكرام ،

(١) هكذا تقول الروايات النصرانية المعاصرة والمتقدمة — راجع دوزى (الطبعة الجديدة) ج ١ ص ١٦٠ وج ٢ ص ١٢٩ — والحواشى — وينقل دوزى عن ايزيدور الباجى ، وهو راوية معاصر ؛ وعن سنتيان

(٢) راجع المقرى — نفح الطيب — ج ١ ص ١٣٩

(٣) راجع البيان المغرب لابن عذارى ج ٢ ص ٢٧

(١) راجع خلاصة الروايات الفرنجية فى موسوعة Bayle V. IV والتعليقات

وتزوجت هنالك من أمير مسلم لا تذكر لنا الرواية اسمه

والرواية العربية تمر على هذه الحوادث كلها بالصمت ، ولا تذكر لنا أي تفصيل أو لمحة تلقى الضياء على شخصية منوزا ؛ بيد أن ابن عذارى المراكشي ينقل الينا نصاً يستوقف النظر فى حديثه عن ولاية أمير الأندلس الهيثم بن عبيد الكلابي إذ يقول : « وهو الذى غزا منوسة » [1] ، فهل تكون « منوسة » هى الافرنجية المحرفة « منوزا » Munuza ، أو بعبارة أخرى هل تنصرف هذه الكلمة إلى الشخص أو تنصرف إلى المكان ؟ يرى دوزى أنها تنصرف إلى الشخص ، وأن ابن عذارى يقصد هنا « منوزا » صاحب المأساة التى أتينا عليها [2]

أما نحن فنرى بالعكس أن الكلمة هنا تنصرف إلى المكان ، وأنه لا علاقة بين كلمة « منوسة » ، وبين الزعيم « منوزا » ، ذلك أن الرواية العربية لم تعتد أن تعبر عن غزو الأشخاص بهذه الصورة ، وإنما تتحدث دائماً عن غزو المكان ، هذا إلى أن الحديث هنا يتعلق بغزوات معروفة فى الرواية الاسلامية قام بها أمير الأندلس الهيثم بن عبيد الكلابي الذى تولى إمارة الأندلس فى أوائل سنة ١١١ هـ (٧٢٩ م) ؛ فقد عبر الهيثم جبال البرنيه غازياً ؛ واخترق ولاية سبتمانيا ، ثم وادى الرون ، وغزا ليون (لودون) ، وماسون ، وشالون الواقعة على نهر الساؤون ، واستولى على أوتون وبون ، وعاث فى أراضى برجونيه الجنوبية ؛ والمرجح لدينا أن مدينة « ماسون » التى غزاها الهيثم ، إنما هى « منوسة » التى يذكرها ابن عذارى ، حرفت بالعربية بطريق التقديم والتأخير فى الأحرف

هذا ، وهنالك رواية نصرانية أوردها ماريانا المؤرخ الاسبانى الكبير ؛ فقد ذكر أن « منوزا » كان نصرانياً ، اختاره المسلمون لحكم المنطقة الواقعة فى غرب البرنيه ، ولكنه كان صارماً شديد الوطأة يسوم النصارى سوء الخسف ؛ وأنه كانت للدون بلاجيوس زعيم جليقية القوطى أخت بارعة الحسن ، شغف بها منوزا حباً ؛ ولكن بلاجيوس لم يوافق على زواجها منه ، فاحتال منوزا ، وبعثه فى مهمة إلى قرطبة ؛ وأسر الأميرة أثناء غيبته وتزوج منها قسراً . فأسر بلاجيوس وأخته هذه الاهانة ، ولبثا يرقبان الفرص ، حتى استطاعت الأميرة فراراً من أسرها ، وسارت مع أخيها إلى جبال جليقية حيث اعتصم بلاجيوس مع أنصاره ، وأعلن الخروج والثورة . فأخطر منوزا حكومة قرطبة ؛ فأرسلت حملة لتأديب الثائر بقيادة « علقمة » ؛ ولكن بلاجيوس استطاع مع أنصاره القلائل أن يعتصم بشعب الجبال ، فارتد المسلمون منهزمين ، وقتل علقة ؛ وارتاع منوزا لفوز خصمه ، وخشى انتقام مواطنيه ، فحاول الفرار إلى الجنوب ، ولكن وقع فى يد شرذمة من الفلاحين النصارى فقتلته ؛ ويضع ماريانا تاريخ هذه الحوادث فى سنة ٧١٨ م [1]

ولكن رواية ماريانا هذه ظاهرة الضعف ؛ أولاً لأنه ليس بمعقول أن تعهد حكومة الأندلس المسلمة بحكم ولاية من ولاياتها إلى زعيم نصرانى ؛ وثانياً لأن هذه الرواية تخالف فى مجموع تفاصيلها كل ما كتبته الرواية المعاصرة عن شخصية منوزا ، وعن مصاهرته لدوق أكوتين ؛ وثالثاً لأن تاريخ هذه الحوادث متأخر عن التاريخ الذى يعينه ماريانا بنحو عشرة أعوام

وعندئذ يبقى أمامنا فرض واحد يمكن التعويل عليه فى تعيين شخصية منوزا . فهو زعيم مسلم بلاريب ؛ ولكنه شخص آخر غير « ابن أبى نسعة » أمير الأندلس كما أوضحنا . ومن المعقول جداً ، أن يكون ، كما تصفه الرواية النصرانية المعاصرة ، من زعماء البربر الذين دخلوا الأندلس وقت الفتح ؛ وقد حرفت الرواية الفرنجية اسمه الى هذا الوضع ؛ وهنالك فى ظروف الأندلس عقب الفتح ، وفى عوامل الخصومة التى نشبت بين العرب والبربر ، وفى تنازعهما المستمر على مناصب الرياسة والحكم ، ما يؤيد انتماء منوزا إلى البربر ؛ وعلى ضوء هذا الفرض وحده نستطيع أن نفهم موقف منوزا وتصرفاته فى محالفة دوق أكوتين ومصاهرته وفى محاولته الخروج على حكومة الأندلس ، تحقيقاً لأطماع جاشت بها نفسه ، ونزولاً على عوامل الخصومة التى يضطرم بها البربر نحو العرب

محمد عبد الله عنان

(١) البيان المغرب — ج ٢ ص ٢٧
(٢) دوزى — ج ٢ ص ١٢٩ (الهامش)

(١) ماريانا — الترجمة الفرنسية — ج ٣ ص ٥ وما بعدها